

تفسير البحر المحيط

@ 247 @ نَطِيعٌ فَيَكُومُ ° : أي في قتالكم ، { أَحَدًا } : من الرسول والمؤمنين ؛ أو { لا * نَطِيعٌ فَيَكُومُ ° } : أي في خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصر ، و { لَنَنْصُرَنَّكُمْ ° } : جواب قسم محذوف قبل أن الشرطية ، وجواب أن محذوف ، والكثير في كلام العرب إثبات اللام المؤذنة بالقسم قبل أداة الشرط ، ومن حذفها قوله : { وَإِنْ لَّسَّ يَنْتَهُوا ° عَمَّا يَفْعُولُونَ لَيَكْسَبَنَّكَ الذِّينَ } ، التقدير : ولئن لم ينتهوا لكاذبون ، أي في مواعيدهم لليهود ، وفي ذلك دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب ، ولذلك لم يخرجوا حين أخرج بنو النضير ، بل أقاموا في ديارهم ، وهذا إذا كان قوله : { لِإِخْوَانِهِمْ ° } أنهم بنو النضير . وقيل : هم يهود المدينة ، والضمان على هذين القولين . وقيل : فيها اختلاف ، أي لئن أخرج اليهود لا يخرج المنافقون ، ولئن قوتل اليهود لا ينصرهم المنافقون ، ولئن نصر اليهود المنافقين ليولي اليهود الأدبار ، وكأن صاحب هذا القول نظر إلى قوله : { وَلَئِنْ قُوتِلُوا ° لَا يَنْصُرُونَهُمْ ° } ، فقد أخبر أنهم لا ينصرونهم ، فكيف يأتي { وَلَئِنْ نَصَرُوا ° هُمْ ° } ؟ فأخرجه في حيز الإمكان ، وقد أخبر أنهم لا ينصرونهم ، فلا يمكن نصرهم إياهم بعد إخباره تعالى أنه لا يقع . وإذا كانت الضمان متفقة ، فقال الزمخشري : معناه ولئن نصروهم على الفرض ، والتقدير كقوله : { لَئِنْ ° أَشْرَكَتَ لَيَحْبِطَنَّ ° عَمَلُكَ } ، وكما يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون . وقال ابن عطية : معناه : ولئن خالفوا ذلك فإنهم يهزمون . انتهى . والظاهر أن الضمير في { لَيُؤْوِلَنَّ ° الْإِدْبَارَ } ، وفي { ثُمَّ ° لَا يَنْصُرُونَ } عائد على المفروض أنهم ينصرونهم ، أي ولئن نصرهم المنافقون ليولن المنافقون الأدبار ، ثم لا ينصر المنافقون . وقيل : الضمير في التولي عائد على اليهود ، وكذا في { لَا يَنْصُرُونَ } . قال ابن عطية : وجاءت الأفعال غير مجزومة في قوله : { لَا يَخْرُجُونَ } و { لَا يَنْصُرُونَ } لأنها راجعة على حكم القسم ، لا على حكم الشرط ، وفي هذا نظر . انتهى . وأي نظر في هذا ؟ وهذا جاء على القاعدة المتفق عليها من أنه إذا تقدم القسم على الشرط كان الجواب للقسم وحذف جواب الشرط ، وكان فعله بصيغة الماضي ، أو مجزوماً بلم ، وله شرط ، وهو أن لا يتقدمه طالب خبر . واللام في { لَئِنْ ° } مؤذنة بقسم محذوف قبله ، فالجواب له . وقد أجاز الفراء أن يجاب الشرط ، وأن تقدم القسم ، ورده عليه البصريون . ثم خاطب المؤمنين بأن هؤلاء يخافونكم أشد خيفة من الله تعالى ، لأنهم يتوقعون عاجل شركم ، ولعدم إيمانهم لا يتوقعون أجل عذاب الله ، وذلك لقله فهمهم ، ورهبة : مصدر رهب المبني للمفعول ، كأنه قيل : أشد

مرهوبية ، فالرهبة واقعة منهم لا من المخاطبين ، والمخاطبون مرهوبون ، وهذا كما قال : %
(فلهو أخوف عندي إذ أكلمه % .
وقيل إنك مأسور ومقتول .
%) .
% (من ضيغم بئراء الأرض مخدره % .
ببطن عنر غيل دونه غيل .
%) .
.

فالمخبر عنه مخوف لا خائف ، والضمير في { صُدُّورُهُمْ } . قيل : لليهود ، وقيل :
للمنافقين ، وقيل : للفريقين . وجعل المصدر مقراً للرهبة دليل على تمكنها منهم بحيث
صارت الصدور مقراً لها ، والمعنى : رهبتهم منكم أشد من رهبتهم من الله عز وجل . { لاَ
يُقَاتِلُونَكَمْ } : أي بنو النضير وجميع اليهود . وقيل : اليهود والمنافقون {
جَمِيعاً } : أي مجتمعين متساندين يعضد بعضهم بعضاً ، { إِلاَّ فِي قُرَى مَّحَصَّاتٍ }
{ لا في الصحراء لخوفهم منكم ، وتحصينها بالدروب والخنادق ، أو من وراء جدار يتسترون
به من أن تصيبوهم . وقرأ الجمهور : { جُدُرٍ } بضمتي ، جمع جدار ؛ وأبو رجاء والحسن
وابن وثاب : بإسكان الدال تخفيفاً ، ورويت عن ابن كثير وعاصم والأعمش . وقرأ أبو عمرو
وابن كثير وكثير من المكيين : جدار بالألف وكسر الجيم . وقرأ كثير من المكيين ، وهارون
عن ابن كثير : جدر بفتح الجيم وسكون الدال . قال صاحب اللوامح : وهو واخذ بلغة اليمن .
وقال ابن عطية : ومعناه أصل بنيان كالسور ونحوه . قال : ويحتمل أن يكون من جدر النخل ،
أي من وراء نخلهم ، إذ هي مما يتقى به عند المصافة . { بِأَسْهُمٍ بِيْنَهُمْ شَدِيدٌ }
{ : أي إذا اقتتلوا بعضهم